



شهرية

« الآداب » في عامها الـ ٢٣

انسان وعشرون عاما ...

نمض عيننا وفتحنا : صحيح ان هذه الاعوام كلها قد انقضت من عمرنا ومن عمر هذه المجلة ؟ وكيف استطاعت « الآداب » ان تصمد حقا للعواصف والاعاصير التي اقلعت كثيرا من المجلات الادبية في السنوات الماضية ، وهل تراها فادرة على ان تمضي بعيدا في هذا الدرب الطويل الشاق ؟

اغمض عينيّ وافتحهما وانا جالس في مكتب « الآداب » انظر الى مجموعاتها الاثنتين والعشرين ، مصفوفة بثوبها الجلدي الاسود ، في خزانة صغيرة معلقة على الجدار المقابل . . احدث في اسم المجلة ، فما تلبث عيناى ان تفيما ، وتضييع الرؤية في ضباب ربع قرن من الزمن . كيف لمعت الفكرة ، اول مرة ، وانا جالس في مكتبة السوربون بباريس ربيع ١٩٥٠ ، وكيف صممت على اصدار المجلة فور انتهائي من مناقشة رسالة الدكتوراه ، وكيف كتبت لصديقيّ صاحبي دار العلم للملايين اعرض عليهما الفكرة واطلب مشاركتها لاصدار « الآداب » ، حتى اذا جاءني الجواب بالترحيب ، اطمانت نفسي فانصرفت الى انجاز اطروحتي ، وانا اتحرق شوقا للعودة الى بلدي . .

• . . حتى اذا عدت ، كانت المجلة قد ترعرعت في عقلي ووجداني ، فكتبت افتتاحيتها في صيف ١٩٥٢ ، وبعثت بخطوطها العريضة ضمن رسالة الى زهاء ثلاثين اديبا عربيا كانت تربطني بمعظمهم روابط صداقة اديبية قديمة او حديثة ، اعرض عليهم الفكرة ، واستشيرهم في امور الادب ، واطلب مشاركتهم في هيئة التحرير .

وجاءتني اجوبة اثنين وعشرين منهم مشجعة ، مباركة ، وان هي الا اسابيع ، حتى بدأت تردني الابحاث والقضايا والقصص التي طلبت ، فاحترار في ايها اقدم ، وايها ارجيء ، واصاب بارتباك شديد بين مكتبي الصغير في « دار العلم للملايين » ومطبعة « دار الكتب » ، واصاب بالارق والخوف والرهبة . .

• . . الى ان تلمس يدي العدد الاول من « الآداب » ، فاحس بارتعاش اصابعي على الورق ، واسمع خفقات قلبي ، واغادر المطبعة خوفا من ان يلحظ العمال اضطرابي وتأثري ، حتى اذا خرجت الى الطريق متجها نحو مكتبي ، لم اشعر الا ويدي تضمّ العدد الى صدري ، ثم احسست بما يشبه الدمعة في عينيّ : لقد تحقّق اذن املي ، وخرج

الى النور اعزّ حلم كان يراودني طوال سنوات . لقد ولدت « ابنتي » الاولى التي لن احبّ اولادي ، فيما بعد ، اكثر من حبي لها .

وانهض منجها الى خزانه المجموعات ، ونلامس اصابعي من جديد المجلدات الاثنتين والعشرين ، فاصاب منها بمثل رعشه الاصابع الاولى لاوراق العدد الاول : ولكن اية مسافة طويته هذه ، واية حقبة بعيدة !

واحسّ بسوء من الكآبة : صحيح ان « الابنة » الكبرى قد نمت وترعرعت وادركت سن النضج والنضارة ، ولكن من الصحيح بذلك ان « الاب » قد ادرك سن الكهولة ووظف الشيب فوديه . . فهل هو قادر بعد على ان يمنح ابنته كل ما كان يمنحها من رعاية وحب وحماسة ؟

الا يحق لهذا الجندي الذي يخوض المعركة منذ قرابة ربع قرن ، ان يحسّ ببعض التعب ، وان يلمس بعض الراحة التي يطلبها المحارب ؟

وانتفت الى رفيقة عمري ، ورفيقة « الآداب » منذ عامها الثالث ، فتقترب مني ، وتضع يدها على يدي ، فادرك انها فهمت ما يجول بخاطري ، واسمعها تقول :

— سنأخذ لنا اجازة . . بضعة ايام . .

ثم تضغط رفيقتي على يدي ، وتضيف بحنان ، ولكن بعزيمة :

— العدد الجديد ، سنبدأ بأعداده بعد الاجازة .

ورفعت سبابتها الى حيث المجلد الاخير ، فعجبت ان الاحظ للمرة الاولى انه لا يزال ثمة مسافة عريضة الى يسار المجلد . . مسافة خالية فارغة تنتظر ان تملأ في السنوات القادمة . .

قالت رفيقتي :

— انها سنوات كثيرة بعد ، سنوات عمرنا الباقية هذه . .

واردفت تقول :

— ان من ملا تلك المسافة الطويلة ، لا يستطيع ، حتى ولو اراد ، ان يبقي هذه خالية . . ان دور « الآداب » مستمر ، بل هو الان اشد الحاحا من السابق .

خرجنا من المكتب ، يومذاك ، فطالعنا سماء صافية وشمس دافئة ، فשמعنا بأن الاجازة التي نأخذها سوف نستغلها لنكتسب مزيدا من الشباب والنشاط والحماسة ، لاستئناف مسيرة « الآداب » ، مسيرتها الشاقة ، الرائعة .

الصحافة .. وفساد الأدب !

لا بد من ان نُؤكد اليوم ما قاله طه حسين . منذ ربيع قرن ، من ان الصحافة تلمب دورا كبيرا في افساد الادب ..

وينطبق هذا اشد ما ينطبق اليوم على الصحافة اللبنانية ، يومية كانت ام اسبوعية !

ذلك ان معظم الذين يشرفون على الصفحات الادبية والفنية والثقافية بصورة عامة هم جهلة مفرورون ، او مبتدئون لا يملكون من مقومات الادب الا عدة هزيلة .

ومصيبة هؤلاء ، او المصيبة فيهم ، انهم ما يكادون يتسلّمون « صفحاتهم » الادبية حتى يتربموا على منبرها ويبدأوا باطلاق الاحكام واصدار قرارات التصنيف بأن هذا كاتب رديء ، وذلك اديب غير مبدع ، وذئب شاعر فاشل .. ولا يقدم محرر الصفحة الادبية ، تبريرا لهذه الاحكام ، الا بضعة أسطر سريعة لا تتجاوز العشرة ، بحجة ان مجال الصحيفة اليومية لا يتسع للدراسات الموسعة ولا للابحاث المعمقة !

ولن تحتاج الى وقت كبير ولا الى جهد خاص لتكتشف ان معظم محرري الصفحات ادبائية لا يحسنون كتابة العربية ولقما تخلو كتاباتهم من اخطاء في الصرف والنحو .. وهم لا يتورعون مع ذلك من تجريح كتابات المؤلفين الذين يتميزون بسلامة اللغة ورشاقة العبارة ونصاعة الاسلوب .

ان انعدام روح المسؤولية اصبح الصفة الطاغية لمعظم ما تورده صحفنا اليومية والاسبوعية نقدا لكتاب او تحليلا لدراسة او تعليقا على مؤتمر او ندوة .. وربما كان مرد ذلك الى ان الذين يتصدون للعمل الادبي في هذه الصحف هم انصاف مثقفين ممن سقطوا في الامتحانات المدرسية او حشروا في « الصفحة الادبية » لانهم لا يصلحون مخبرين محليين او معلقين سياسيين .. وانك لتصاب اليوم بالفشيان اذا خطر لك ان « تتسلى » بتقليب الصفحات الثقافية في الجرائد اليومية او المجلات الاسبوعية ، من فرط الفثانة والتفاهة والسطحية !

نقول هذا لما لاحظناه طوال انعام الماضي ، ونلاحظه كل يوم وكل اسبوع من احكام جارفة وتقييمات سخيفة للاعمال الادبية والمؤتمرات والندوات .. حتى غدا التجريح والتهمج الوسيلة الفضلى لهؤلاء « المحررين » لاجتذاب الانظار اليهم والتسلق على اكتاف الشعراء والكتّاب والقصاصين والروائيين ..

تقدم مسرحية على احد منارحنا في بيروت ، او يثبت برنامج تلفزيوني ، او يعقد مؤتمر او ندوة .. فتسارع « الصفحات الثقافية » الى تغطية ذلك في اليوم التالي مباشرة ، وتتسابق في الادلاء بالاراء ، كما لتحقق « سبقا صحفيا » في الميدان ، فاذا بالجهد الذي يبذله الشاعر او القصاص او الباحث طوال اسابيع وشهور يذهب هدرا بجرّة قلم وشطحة خيال .. وكثيرا ما يعمد

محرر الصفحة ، وربما باسم مستعار ، الى الاستهزاء بالامر المنعقد والاستحفاف بصاحبه ، نظرفا او تفكها على حساب الجهد والعرق والمعاناة !

ان معظم « الصفحات الثقافية » قد اصبحت اليوم افة اتعافه والادب ، لان الاعلام اتسي تحررها لا يتحمل معظمها اية مسؤولية ، ولقما يكون جديرا بالتصدي لتنظيم والاحكام .

وتكاد الصحف اللبنانية ان تتفرد بهذه الظاهرة .. فاذا تناولت اية جريدة اجنبية ، يومية او اسبوعية ، لتطالع صفحاتها الثقافية ، وجدت فيها خيرة النقاد وفضل الباحثين ، ممن انقضت عليهم سنوات طوال في ممارسة النقد والدراسة . اقرأ الصحف الفرنسية مثلا ، تجد في صفحاتها الثقافية الاسبوعية افضل النقاد الفرنسيين امثال رويبر كاترز ويبر هنري سيمون وكلود موريساك ور . م . البيريس وادموند مايبسي وسواهم ، وقرأ الصحف المصرية تجد في صفحاتها الادبية لويس عوض ومحمود امين العالم ورجاء النقاش وسامسي خشبة وسواهم ..

اما صحفنا اللبنانية ، فمعظم الذين يحرون صفحاتها الثقافية مبتدئون لم يعانوا الكتابة الجادة ، بل قليلون هم الذين صدرت لهم كتب ذات قيمة .. ولا شك في ان اصحاب الصحف مسؤولون عما آلت اليه هذه الصفحات من انحدار وهبوط ، وافضل الف مرة ان يلقوا هذه الصفحات او يقلصوها او يجعلوها مرة في الاسبوع ، بدلا من ان تكون يومية ، وان يهدوا بها الى من يملك حسن المسؤولية وعدة الاديب والناقد .

لقد انعقد في الشهر الماضي ، على سبيل المثال ، الملتقى الشعري الثاني في بيروت ، فراح معظم محرري الصفحات الادبية يتنافسون في تفشيل الشعراء : سقط الشاعر فلان ، اخفق الناقد فلان الخ .. ثم انتهوا الى الحكم بسقوط الملتقى الشعري كله ، ولولا بعض حياء لطالبوا بالغناء الشعر وشنق اشعراء !

ولو بحثت عن اي اثر نقدي لهؤلاء المحررين ، او اية دراسة جادة في الشعر ، او مشاركة فسي رسم خريطة الشعر العربي الحديث ، لافتقدت كل شيء .. فكيف تراهم تصدوا لذبج الشعراء ، الذين اثبتوا جدارتهم بانتاجهم ، دون ان يرف لهم جفن ، او ترتجف يد ؟

ان ادبنا العربي الحديث يعاني من كثير من الطفيليات في الصحف اليومية والاسبوعية ، ولا بد لمؤرخي الادب والمعنيين بشؤونه في العالم العربي ، ولا سيما في لبنان ، من محاربة هذه الطفيليات والقضاء على هذه الافة التي تفسد الادب وتهبط بمستواه وتحل المفجاجة والتسطح واللامبالاة محل الابداع والعمق وروح المسؤولية ..

سهيل ادريس